

أثر التحصيل اللغوي عند القراءة في المدرسة الجزائرية

الدكتور: محمد لوسرة

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

القراءة حصيلة معرفية سابقة ورصيد لغوي مبني على أسس نفسية سليمة و بمعنى أدق إن المرء لا يتم عنده فعل القراءة إلا بشروط متعددة منها الجانب اللغوي والنفسي على حد سواء فقراءة الجملة قراءة صحيحة سليمة خالية من الأخطاء والشوائب تدل على أن القارئ يتمتع بأداء لغوي صاف نحوا وصرفا وتركيبا بالإضافة إلى سلامة النطق من حيث الأداء ومن حيث سلامة المخارج والصفات أضف إلى ذلك تمتع القارئ بشخصية متزنة لا تتعرض سبيله حواجز نفسية كالقلل والخجل والاضطراب والارتباك وأن لا يعاني اضطرابات في النطق لأن هذا يشكل له عقدة و خصوصا من جراء المحيط المدرسي الذي يتقرب سخريته ويتوقع اشمئزازهم من هذا الأداء .

بصرف النظر عن المعطيات السالفة الذكر تظل القراءة نتيجة حتمية لتوفر المعايير السابقة إذ لا بد على المرء أن يضع الحركة المناسبة نطقا ويؤدي الميزان الصرفي والعروضي إن كان النص شعرا وهذه علوم يستوجب على القارئ بغض النظر عن تخصصه أن يكون مطلعاً عليها فقراءة الجملة ببساطة تعني أن المرء يمارس بطريقة لا شعورية جميع مستويات اللغة في آن واحد فيجتمع لديه ما يسمى بالعادة النطقية من جهة والممارسة من جهة أخرى، زيادة على ذلك تحكمه في علامات الوقف التي تلعب دورا في تنظيم النصوص واستقرارها في الأذهان.

لحديث عن القراءة وأثرها في التحصيل المدرسي وارتباطها بكثير من العلوم والمفاهيم لا بد من استحضار أهميتها وكيفية تعلمها.

❖ أهمية القراءة: تتجلى أهمية القراءة في أول أمر إلهي نزل على رسولنا الكريم إذ يقول تبارك وتعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (5) (سورة العلق 1-5). وتعد القراءة وسيلة مهمة للتحصيل والاستيعاب، ولتوسيع المدارك والقدرات، ووسيلة لاستثمار الوقت، وتعويد الطلاب على البحث ودقة الملاحظة، والاستفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم، والتدريب على الكلام، وإبعاد اللسان عن اللحن.

- التحلي بالبلاغة والفصاحة، تنمي عادات العقل ومهاراته ، وتعود ذهنه ، ويكثر بها المحفوظ و المفهوم .

❖ تقسيم مراحل تعليم القراءة :

- (1) مرحلة ما قبل القراءة : وتعتمد على التهيئة و التمهييد و نسمى هذه المرحلة الاستعداد للقراءة وفيها يتعرف التلميذ على ما هو موجود حوله .
- (2) مرحلة البدء في التعليم : وفيها يتعلم التلميذ مبادئ القراءة الأساسية .
- (3) مرحلة الاستقلال في القراءة: وهي مرحلة منشودة تمثل ثمرة التفاعل بين المرحلة الأولى و الثانية حيث يستطيع التلميذ قراءة بعض الكلمات المألوفة لديه
- (4) مرحلة الانطلاق في القراءة : و فيها يستطيع التلميذ قراءة كلمات جديدة مما اكتسبه من مهارات و خبرات في المراحل السابقة .
- (5) مرحلة الابداع في القراءة: وهي مرحلة تنوع فيها مجالات القراءة عند التلميذ كآيات القرآن الكريم ، القصص و التجويد¹
- (6) مرحلة نقد و تقويم المقروء : وهي مرحلة عليا من مراحل تعليم القراءة و تهدف إلى اكساب القارئ القدرة على اصدار حكم ما على المادة المقروء .
- (7) مرحلة الإفادة من المقروء: وهي التي يستطيع فيها الفرد القارئ توظيف مجموعة من الفكر والمعلومات والبيانات التي تأكد من صحتها في مرحلة النقد و التقويم²

❖ العوامل المؤثرة في الاستعداد للقراءة :

- (1) استعداد عقلي: و يتمثل في زيادة النضج العقلي للأطفال بزيادة سنوات عمرهم و من ثمة تزداد قدرتهم على تعلم القراءة ، بحيث هناك علاقة أساسية بين العمر العقلي و سهولة البدء في تعلم القراءة و ذلك أن الأطفال الذين يخفون في القراءة في السنة الأولى من حياتهم يكون عمرهم العقلي أقل من ست سنوات .
- (2) استعداد جسمي: تعتبر سلامة وصحة الجسم من العوامل المؤثرة في تعلم القراءة فهي بدورها تحتاج إلى قوة ابصار مناسبة حتى يستطيع التلميذ رؤية الأشكال والتمييز ويتعرف عليها كي يتمكن من قراءتها، كما تحتاج إلى القدرة على السمع، فقدرته التلميذ على الاستماع الجيد تساعد على السماع بصورة صحيحة إلى ما يقرأه المعلم، كما يحتاج أيضا النضج في جهاز النطق حتى يتمكن من نطق المفردات والأصوات نطقا صحيحا³
- (3) استعداد انفعالي (شخصي أو عاطفي): وفي هذا الميدان تنعكس نتيجة العلاقة بين الطفل و أسرته و ذويه قبل دخول المدرسة سلبا أو إيجابا على اتجاهاته نحو الجو الدراسي و على قدرته على التكيف

معه حيث أن المشكلات العاطفية و الشخصية تكون سببا في إخفاق التلميذ في تعلم القراءة و منها : عدم النضج العاطفي ، انعدام الثقة بالنفس ، الشعور بالخوف ، عدم الأمن أو الجبن أو الحياء الشديد ،

(4) استعداد تربوي: وهذا الأخير يتضمن جميع المعارف والخبرات التي اكتسبها الطفل منذ ولادته والتي يتفاوت فيها الأطفال وهذا ما يؤثر على استعداداتهم للبدء في تعلم القراءة ويظهر هذا التفاوت في الخبرات السابقة

_ الخبرات اللغوية _

القدرة على تمييز البصري والنطقي بين الأشكال والكلمات المتشابهة والمختلفة للإقبال على القراءة والرغبة فيها.

(5) الإدراك الحركي : إن القراءة تستلزم القيام بحركات متنوعة في تتبع الأسطر بالبصر و تمييز الحروف و فرز الكلمات و سماع الجمل و المفردات و غيرها بالأذن⁴.

❖ كيفية تعليم القراءة:

تعد القراءة من أهم أهداف المرسلة الابتدائية، فأما في منتصف المرحلة الابتدائية فتصبح القراءة نفسها وتعلمها هدف للطفل نفسه وهو الذي يسعى إليه ويحرص عليه وينميها والقراءة في حد ذاتها نوعان: قراءة صامتة وقراءة جهرية، حيث الأولى ليس فيها صوت ولا همس ولا تحريك لسان ولا الشفتين أما الثانية فيها يسمع الصوت وتتحرك الشفتان واللسان.

طرق تعليم القراءة: (القراءة الصامتة)

❖ مقدمة قصيرة تبعث الشوق الى قراءة الدرس وتثير حب الاستطلاع وتعد الطالب إعدادا نفسيا للشروع في القراءة.

❖ يكلف المعلم الطلاب بقراءة الدرس قراءة صامتة ويقوم بتحديد الوقت المناسب لذلك بغاية تعويدهم على سرعة القراءة والفهم وينبههم بضرورة إغلاق الكتاب حال الانتهاء من القراءة.

❖ على المعلم أن يقدم أسئلة واضحة بعد الانتهاء من القراءة الصامتة تدور حول النص المقروء.

القراءة الجهرية:

❖ تهيئة الطلاب للدرس بمقدمة غير متكلفة تحفز على الرغبة في متابعة الدرس.

❖ يقرأ المعلم قراءة صحيحة خالية من الأخطاء النحوية واللغوية ...

❖ التمييز بين الأفكار الرئيسة والفرعية في النص ويستوعب ما يقرأه ويوضح المفردات الصعبة.

إن للقراءة دورا في رسم معالم شخصية قوية عند الطالب بشكل عام ولكن هذا الوضع لا يتأتى إلا بمجموعة من الاستعدادات الحاصلة مع الولادة زالاكتساب في آن واحد إذ لا بد من توفر شروط ومعايير تؤهل القارئ إلى التزود بأدوات تسمح له ببلوغ الغاية المنشودة ومن هذه الإجراءات اكتسابه لمهارة القواعد اللغوية المختلفة دون حواجز نفسية أو اجتماعية أو ذهنية ومع ذلك أود الحديث بصورة موجزة عن بعض الأسباب التي تسهم في ضعف القراءة عند الطلاب بشكل عام.

❖ أسباب ضعف الطالب في القراءة: يمكن فهم هذا الضعف الذي يعاني منه الطلاب في القراءة كالبطء في النطق أو الضبط الخطأ للألفاظ من هنا يستطيع المتخصص أن يلاحظ وأن يلمس ضعفا هاما في المهارات الأساسية في اللغة العربية في القراءة و الكتابة و التحدث ، فعلى المعلم أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الأخطاء من أجل تصحيحها لكل قارئ أو متحدث بالشكل الذي يتلاءم مع ضعفه .

❖ من بين مظاهر هذا الضعف:

-عدم قدرة بعض الطلبة على قراءة مادة مختلفة عن الكتب التي قرأها في هذه المرحلة، أي تختلف عن الصورة عن قرأها من قبل.

- الصعوبة في فهم المادة الجديدة المقروءة.

- عجز الطلبة عن أداء المعنى.

(1) إضافة إلى أسباب عضوية:

❖ إساءة الفهم غالبا للتعليمات والتعبيرات اللغوية.

❖ الخمخمة: وهي إخراج الحروف من الأنف بطريقة مشوهة، واللثغة أثناء النطق.

❖ صعوبة نطق بعض الكلمات أو بعض الحروف أو استبدالها بحروف أخرى.

❖ ضعف البصر يؤدي إلى زغللة العين أثناء القراءة⁵

- أسباب نفسية:

- الخوف المفاجئ والقلق والتردد والجلجلة أثناء القراءة.

- الانطواء والخجل لهما أثر فعال في التردد وعدم الإقدام على القراءة.

- الإحساس بالفشل أثناء القراءة نتيجة العقاب المستمر والاحباطات المختلفة.

-أسباب شخصية :

- قد تكون حسب الحالة الصحية كالتأخر في النطق أو البصر اللذان يؤديان إلى بطئ التلميذ أو الطالب في القراءة⁶.

أو حسب الحالة الاجتماعية والاقتصادية وهنا بحسب الظروف البيئية المحيطة بالطالب كفقده أحد الوالدين أو مرض أو الحالة المادية المتردية أو الأمية لدى الأب أو الأم أو السكن غير المناسب، فكل هذا يؤدي إلى نقص القدرات العقلية وضعف الجانب اللغوي.

بقي القول إن القراءة يستلزم أن تمر بمراحل ضرورية منها التهيؤ والاستعداد والرغبة والطموح مع تزويد القارئ بالمستويات المتعارف عليها وبما أن القراءة مدمجة في إطار اللغة مع الكتابة تظل نشاطا عقليا يعتمد التركيز لأن الإنسان قد يتأتى كلما ذكر ولكنه قد يصاب بما يسمى بالعمى اللفظي إذ يرى الكلمة أمامه لكن قد يخلط حرفا مكان حرف وهذا راجع إما إلى عدم التركيز كما سلف أو توقع كلمات مسبقا دون التحقق من الحروف المكونة لها ولهذا لا بد من ارتباط اللغة بالاستعدادات النفسية والذهنية والعقلية لتحقيق هدف القراءة مع ضرورة الممارسة لأنه يقال الممارس يغلب ألف فارس .

و في الأخير أريد التأكيد على أن القراءة تكتسب كغيرها من العلوم والمعارف بطريقة التدرج المبنية على مكونات الجزء إلى تحقيق الكل وهذه الطريقة يؤكد عليها ابن خلدون في مقدمته حين يقول: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلًا قليلًا)⁷.

اعتمادا على ما تقدم بالنسبة للقراءة لكونها عنصرا ضروريا في فرض التعلم يمكن الجزم أيضا على أن الكتابة هي كذلك تعتمد شرطا من شروط التحصيل و عليه نظن أن الفصل بينهما غير جائز فإذا ذكرت القراءة ذكرت الكتابة حتما ومن هنا نرى التطرق إلى الكتابة أمرا لا مناص منه ولو باقتضاب ما دمنا نعتبر القراءة والكتابة جناحين يطير بهما طلاب العلم لينهلوا من حقل المعرفة .

❖ مفهوم الكتابة :

❖ لغة : معناها الجمع ويقال تكتب القوم إذا اجتمعوا ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة . وقال

ابن الأعرابي وقد تطلق الكتابة على العلم لقوله تعالى : " أم عندهم الغيب فهم يكتبون "

(الطور 41)

بمعنى يعلمون .

❖ اصطلاحاً : هي صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها ، و فسر معنى الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه و الجثمانية بالخط الذي يخطه القلم .⁸

❖ أهمية الكتابة : و تبرز أهميتها في كونها من أهم الوسائل الاتصالية للإنسان بغيره و فيها يتجاوز حدود الزمان و المكان كما أنها وسيلة من وسائل بقاء الجماعة البشرية و حفظ تراثها الثقافي و الاجتماعي و تطويره و قد أشار الجاحظ (2004-41) لأهمية الكتابة بقوله : لولا الكتب المدونة و الأخبار المخلدة و الحكم المخطوطة التي تحسن الحساب و غير الحساب لبطل أكثر العلم و لغلّب السلطان الذكر و لما كان للناس مفزع الى موضع استذكار . كما أنها دماغ لفنون اللغة و هي وسيلة من وسائل التفكير .

❖ أسس الاستعداد لتعلم الكتابة :

❖ أسس تربوية : تنمية الميل إلى الكتابة :

فإن استطاع أن ينمي لدى الأطفال الميل إلى تعلم الكتابة فإنه يجعلهم إثر ذلك متحفزين لتلقي هذه الخبرة الجديدة باهتمام و تعلم أي موقف من مواقف التعلم لا بد أن يقوم على الرغبة و الميل . ويتصل بالميل الإحساس بالحاجة لتعلم الكتابة فإن الطالب و هو يشعر لكل كلمة يسمعا رمزا كتابيا يكتب به و إن تعلمه لهذا الرمز يساعده على التعرف على الكلمة و كتابتها و الاحتفاظ بها تعطيه لذة تنتج عن اشباع الحاجة التي يحس بها . فإذا أدرك المتعلم أنه حربي تعلم الكتابة متى شاء و كيف ما شاء فإنه يقبل على هذا بنشاط و حيوية و اهتمام .

أسس نفسية : الاستقرار النفسي و الشعور بالأمن في اتقان الكتابة و كثيرا ما يعبر الجط عن طبيعة الانفعالات التي تخدم في نفس الانسان و لا سيما الأطفال الصغار ، و يتخذ بعض علماء النفس من خطوط الأطفال ورائق دراسية لمناعي اضطراباتهم و توجيه الانفعالات فيها .

الأسس الفيزيولوجية : تتطلب الكتابة استخدام العين و اليد (الأصابع) و بين كل حركة تناغم و انسجام بحيث توافق العين و اليد و ترافقهما أثناء الكتابة توافقا كاملا إجادة في الخط و الدقة فيه .

و قوة الضغط على القلم لها مقدار لا ينبغي تجاوزه فإذا ازداد عن ذلك أعاق الكتابة و كذلك يفسد الخط و يجعله مفتقرا للوضوح .⁹

❖ كيفية التعليم و التدريب على الكتابة :

تهيئة التلاميذ لتعلم الكتابة و ذلك باعداد عضلات اليد (تنمية العضلات الصغرى)، بحيث حينما يمسك بالقلم للكتابة يجب أن يشرك الإبهام و السبابة في القبض أسفل القلم بينما الأصابع الوسطى رأس القلم و هو بارز قليلا ليصل سنه إلى الورقة . كما تضغط عضلتنا الذراع و أعصاب ظهر الكف باتجاه اليمين لدفع القلم عن السطر بينما تقوم السبابة و الإبهام بالدفع إلى أعلى أو أسفل حسب اتجاه الحروف في الكلمة المرسومة و تكون هناك حركات عكسية لوضوح بعض النقاط أو الأشكال أو الهمزات أو خطوط الكاف الأفقية و الطاء العمودية وغيرها.

أما بالنسبة للأدوات المستعملة في مرحلة الكتابة ليس بالضرورة أن يكون القلم فقد يلعب الطين البلاستيكيين والصلصال والمعجون بالإضافة إلى عيدان الكبريت وعلب الألوان والرمل دورا رئيسيا في تهيئة الطفل للكتابة . و زيادة على ذلك ، إذا علم المعلم الطفل الكتابة يجب البدء بكتابة كلمة أو جملة بحيث تكون مفهومة لدى التلميذ و أن تكون مما قرأ حتى تكون الكتابة ذات هدف واضح ، كما يكلف المعلم بحل تمارين تتطلب كتابة كلمات و رسم حروف حتى يتمرن أكثر على ذلك .

يمكننا التأكيد على أهمية الكتابة ما دامت تمثل وسيلة ضرورية و سببا رئيسا مباشرا في فك الرموز اللغوية التي تتمثل في أفكار و معارف و رغبات و مشاعر و أحاسيس يحملها الكاتب كيفما كان سواء كان طفلا صغيرا أو تلميذا أو طالبا أو شخصية متمرسة على الكتابة في مختلف المجالات، لأن علماء النفس يؤكدون منذ القدم على أن اللغة مهما كانت فهي منبثقة بالضرورة من كلام مسموع أو مكتوب¹⁰. إن فك الرموز هو الذي يتم بواسطته تحليل الشخصية و الكشف عما بداخلها من أفكار و انفعالات من غضب أو حزن أو فرح أو ملل و لا بأس من الإعلان أيضا أن الكتابة المشوشة المهزوزة المتسمة بالغموض و السوء في التقدير ككتابة حروف مختلفة بتشابه كبير إذ لا يستطيع القارئ أو المصحح مثلا أن يذهب بصورة دقيقة إلى ما يريده صاحب هذا الخط .

نظن أن الكتابة تتصل اتصالا وثيقا بالقراءة و يمكننا التمثيل على ذلك بكاتب قد يكتب كلمة ينقصها حرف مطلوب أو يزيد على تلك الكلمة حرفا لا دخل له فيها ولكن الغريب في الأمر قد لا ينتبه الكاتب إذا كان أضاف حرفا أو أنقص لأنه قد يعيد قراءة الكلمة كما يتصورها في ذهنه و لا ينتبه إلى ذلك إلا إذا تلقى تنبيها من المصحح و إن هذا الموقف راجع في أساسه إلى عدم التركيز

بفعل الظروف التي تحاصر هذا الكاتب مما يجعله مقيدا بهذا العامل النفسي الذي يعد حاجزا أمام عطائه و معرفته . قد يكون الكاتب ضحية يدفع من وراء ذلك ثمنا غاليا يتمثل في رسوبه في اختبار ما بفعل تعامل المصححين لأنهم لا يستطيعون أن يصلوا الى ذهن الكاتب باعتبار أنهم ملزمون بالتعامل مع الأوراق و ليس بداخل ما في الأعماق و من هنا تبقى القراءة و الكتابة وسيلتين ضروريتين و شرطين أساسين لكي يتمكن التلميذ بشكل عام من تكوين شخصية مسؤولة قادرة على التحكم في الظروف الخارجية و بالتالي يستطيعون ممارسة الفعل اللغوي الذي يسهم في التحصيل المعرفي و بذلك يتمكنون من مسيرة واقع الحياة و بوجه أدق اكتساب نجاحات في أي تخصص يسعون إلى امتلاك مهارته .

هوامش البحث:

1 تعليم القراءة و الكتابة ، علي سعد جاب الله ، سيدي فهمي مكاوي ، دار الميسرة للنشر و الطباعة و التوزيع ، عمان ص 88

² علي سعد جاب الله (آخرون)، تعليم القراءة و الكتابة، ص 89

³ حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2003، ص 239

⁴ حنفي بن عيسى محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص 240

⁵ أساليب تدريس اللغة العربية ، د صومان رئيس قسم معلم الصف ص 120

⁶ طرق تدريس اللغة العربية ، لذكريا إسماعيل ، دار المعرفة الجامعية مصر 2005 -ص 162- 163

⁷ - مقدمة ابن خلدون لابن خلدون ص 67

⁸ سميح أبو مغلي ، عبد الحافظ سلامة تعليم الأطفال و الصفوف الأولية ص 40

⁹ عبد اللطيف بن حسين فرج ، تعليم الأطفال و الصفوف الأولية ، ص 220

¹⁰ حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص 55